

صفحات من الذاكرة

أجرى الحوار: جاسم عباس

في سلسلة حلقات «من قديم الكويت» نقلت صفحات الذكريات مع الرعيل الأول من رجال الكويت الذين تخسروا في مرحلتها ما قبل النفط وما بعده، وطالما إن الحنين للأيام الخوالي، إلى الكويت القديمة، كويت الخير والبركة والحياة الاجتماعية المتألقة، هو القاسم المشترك الذي يجمعهم، فمن الانصاف أن يشمل معهم عددا من الواقفين من مختلف الجنسيات التي قدمت إلى الكويت قبل ٤٠ أو ٥٠ سنة فجاهدوا وعملوا، كل في مجاله ومازالت مساهمته في ورشة البناء والتنمية، وإن يستمر هذا التواصل والعتاء لولا محبتهم لهذا البلد الخير ومحبة الكويت وأهلها لهم.

عبدالرحمن مسرة:

خسرنا القرن بسبب الحرامية فقررنا المجيء إلى الكويت

الحمالي كانوا موجودين يوصلون المشتريات إلى المنزل دون اشتراط أي مبلغ

ضربني والدي وكنت متزوجا فحرمت على نفسي التأخير في الليل

تعلمت كهرياء السيارات بالفطرة.. لا مدارس ولا شهادتات

يصر على الذنوب واكل الحرام، حتى دخلنا بعدم الثقة والخوف، وزبون آخر لا نسمع منه كلمة الشكر، والشكر افض منازل الأبرار. وقال: تعلمت وتعلمنا وهؤلاء لم يتعلموا من ابائهم وأجدادهم، ومن هذا المجتمع بان الفضيلة والشكر زاد المسافر في عالم الأتوار، وهو موجب لدفع البلاء، وإزدياد النعماء، وكما قال سبحانه وتعالى: «لئن شكرتم لأزيدنكم»، ولأسف لم نشاهد هذه التصرفات من قبل، سيارة جديدة آخر موديل، وملابس كشخة يهرب لأجل دينار ودينارين، حالات تكررت معي ومع غيري من أصحاب المحلات.

في تلم وحسرة ومشاهدة حزينة قال أبو مصطفي: أنا بعد هذه المدة الطويلة على هذه الأرض الغالية علينا ولكن يعادولوني في المعاملات مع من دخل الكويت قبل أشهر أو سنة، دخلت الكويت وأنا صبي صغير، والأبن عني ١٠ أولاد ومن المشاهد الحزينة أن بيتي تهدم أيام الغزو العراقي للكويت، وعندي بيت أيضاً تضرر في لبنان «طرابلس»، والله سبحانه يعوض.

أقول من الشباب من فرح في تلم وحسرة ومشاهدة حزينة قال أبو مصطفي: أنا بعد هذه المدة الطويلة على هذه الأرض الغالية علينا ولكن يعادولوني في المعاملات مع من دخل الكويت قبل أشهر أو سنة، دخلت الكويت وأنا صبي صغير، والأبن عني ١٠ أولاد ومن المشاهد الحزينة أن بيتي تهدم أيام الغزو العراقي للكويت، وعندي بيت أيضاً تضرر في لبنان «طرابلس»، والله سبحانه يعوض.

أول دخولنا الكويت بللت قطعة قماش أبرد جسمي بها من الحر

برلمان مصغر

وعن الديوانية قال: اسمع عنها وعن مزابها وفوائدها ومساعدتها للمحتاجين، وعن صنابيرها الخيرية وتواصل صلة الرحم، وللأسف لم أدخل أي ديوانية منها حتى هذه اللحظة، لكنني اعرب أنها برلمان مصغر، يحل المشاكل فيه حوارات تدور بالصدق والصرامة والحرية، الديوانية الكويتية للجميع، تجدها في كل الأحياء السكنية والشاليهات والمزارع، وفي البر، وقال أبو مصطفي: وكما سمعت أن أساس الديوانية من بيوت الأشعر لأهل البادية، كانوا يستقبلون ضيوفهم بالكرم، والأبن تطورت حتى المخيمات الربيعية فيها دواوين والديوانية الكويتية من عهد الشيخ صباح الأول، أول حاكم للبلاد.

وفي أوقات فراغي كنت أفضي في المقاهي القديمة على البحر في السالمية، المقهى الفضي، وفي ليلة ما تأخرت عن البيت وكنت متزوجا في فطريني، والذي طرقت سطر، صفة على الوجه، قال لي رحمه الله: لماذا تأخرت على زوجتك، ليس لديك بيت وزوجة؟ ومن هذا الطراخ لم أخرج من البيت فقط من العمل إلى شفتي أنه درس لم ولن أنساه.

قصة الماء

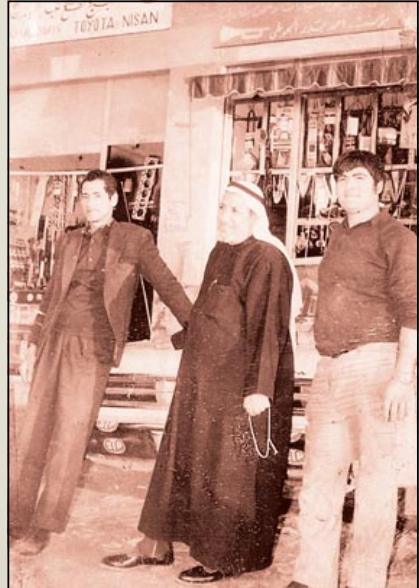
وعاد للتذكر بداية وصولهم إلى الكويت فقال: كنا نعاني من مشكلة الماء تقريبا ولم يصلنا المهري الذي امتحن بيع الماء في الخمسينات، كانوا من أهل وأبناء جنوب اليمن، ومهرينا يزودنا الماء بالعربانة البخارية ذات ٣ عجلات كان المهري يفرغ الماء بالب والبرمة والفرشة، لا تعرف الشلجة ولا المكيف، كنت أبلل قطعة قماش وأضعها على وجهي حتى أتبرد بواسطتها، ويرمينا على كرسي خشبي من ٣ أرجل، وكنا نضع قطعة حجر داخل الحطب البخاري للتصفية وهذا الحجر يعتبر قلترا للماء، ثم انتقلنا إلى عصر التناكر «تنكر» وهو صهرج مياه تحمله سيارات خاصة بنقل مياه الشرب، يا ما أحلى الأيام.

حمالي

ثم تذكر مسرة الشبال الذي يطوق البضاعة التي يحملها على ظهره، وله لباس خاص، وهناك حمالي أبوجهة أي أبوزبير، زينيل بضعة الحماليون فوق ظهورهم، وحمالي يستخدم سدرًا «حبل خاص بالحماليين، يضعه على جبينه ويطوق البضاعة على ظهره». وقال مسرة: كان الحماليون يتجولون في الأسواق لنقل ما يشتريه الأهالي من خضار ومواد غذائية أخرى إلى بيوتهم، ويضخم كانوا على الفرضة ينقلون من السفن القادمة إلى المخازن، ولم يشترط الحمالي بالمبلغ، «أنت ومدت يدك، وأغلبهم كانوا يعرفون موقع البيوت، هم يقومون بانفسهم في التوصيل، وكنت اسمعهم يقولون في حالة الحمل والرفع: زخه، أشكله، أرهعه، إرذعه، نبهه، تفكله، رازه، كلمات كلها تدل على الرفع والنقل والوزن.

المأكولات الشعبية

وأخيرا طلب من الشباب الكويتي خصوصا البنات الإنسيين الأظعمة والوجبات الغنية منها: مجبوس لحم، سلمة، إمرين، مشخول، إمدج، إحصن، خثرة، ملتوت، مرق هوا، هفتاني، عصيدة، مفروك، كيوط، كيببات، مراكوك، ومن الحلويات قال: مليس - دبابيس - ديج ودياية - زند العبد - عنبرية - بيض الصعو - كشاط - غناتي - برमित الذي لا أنساه، قطعة خريفة المأق لها طعم النعناع.



البقالة الوحيدة



عبدالرحمن مصطفى مسرة

■ لم يكن في النقرة إلا مطعم واحد وفي شارع العثمان بقالة واحدة

■ الديوانية برلمان مصغر للجميع تحكمه الحوارات لحل المشاكل

من الشويخ حتى بوابة دسمان أي راس عجوزة لم يبق منه إلا

بواية المقضب، وبوابة الجهراء والشامية، ورواية اليربوعي، هذا السور الذي بني في عام ١٩٢٠، حيث صمد أمام الهدام ٣٧ سنة.

وقال: كنت أرف عند معرض الملا أشاهد السور الطيني الجميل بهدم، وللأسف لا أعرف لماذا، وعندما اتجول الآن في المنطقة بسيف الحزن على، وكنت أتمنى وتمنيت أن يبقى كما بقي سور اليمن ودمشق والمغرب، ومشاهدة حزينة وأنا أشاهد المتحف الوطني القديم المتهدم المشهور «اطلال»، والبيت المقابل له، لماذا هذا الهجر للمباني التاريخية، وحتى الأسواق القديمة نُهبت وراحت، وأرجو المحافظة على سوق واجف وترميمه ويبقى كما هو.

وعن المشاهدات الحزينة اليومية قال أبو مصطفي: كل شيء تغير حتى الزبائن باتي أحدهم طيب القلب وألغا بالمصالح وأنا أتق به، كانت المحبة تربطنا ونشعر أن العلاقة بين الحب والمحسوب، ونشعر في الزبون حب الغيرة في الطبايع، ووجه لغير، وتعرفه من تصرفاته أن حبه للغير لأجل نفعه واحسانه، والأبن وللأسف نصلح سيارته، ويمتل امامنا أنه يريد إخراج محفظته يهرب ولا يعطي شيئا، مشاهدة حزينة

«هون عليك مضيافا بكف الإله مقاديرها فليس بتأتك منهيها ولا هارب عنك مأمورها».

وتذكر أبو مصطفي الساحة الواسعة موقع النافورة الراقصة، حيث كانت تطف الشاحنات القادمة من خارج البلاد بعد تفريغ بضاعتها، نحن كنا نقوم بتصليحها في هذه الساحة، وبشترتي قطع الغيار من محلات الأمن العام في الصفاة كما كنا نسميها «سوق الأمن العام لقطع الغيار»، والأبن موقعها «مجمع الوزارات»، وكنت أنتقل بالكاري «وهي دراجة هوائية»، من الساحة إلى داخل الديرة، ومن سكننا بالنقرة إلى المرقاب، وإلى سينما الحمراء والفريوس بالمرقاب الشرقي.

مشاهدة حزينة

وقال: حزننا وغاب الفرح عنى مدة طويلة، بعدما شاهدت مع بعض المحزونين مخلي السور يتهاوى والكويتي كان يقول «أنا حزننا» أي شديد الحزن، عندما كنا نشاهد ذلك الحافظ حول الديرة يتهدم في عام

في مستهل لقائنا مع عبدالرحمن مصطفى مسرة قال: أنا من مدينة عمرها ٢٧٠٠ سنة من طرابلس التي كانت عاصمة اتحاد فينيقي استولى عليها العرب (٦٣٨) واغتصبها الصليبيون ثم استردها المصريون عام ١٢٨٩، صادرتها الآن الزيت والحبر والمواالج.

وتذكر تاريخ دخوله الكويت عندما كان عمره (١٤ سنة) فقال انه خرج من لبنان إلى سوريا ثم العراق والمطالع الكويتي كان برفقة والده ولم يعرف المبلغ الذي دفعه والده وقال: أتذكر عندما أشار والدي إلى المطالع قال لنا: هذا المركز للشرطة في وسط سلسلة تلال غصي (الزور)، قديما كان يسمى المركز (حزك كاظمة) بوابة يخرج منها المسافرين إلى البصرة، وسميت هذه المنطقة بالمطالع لأنها تشرف على الجهراء إلى أي منحدر، والمطالع إلى الآن موضع الاطلاع، وفي الطريق شارع إلى الجهراء، وقال: من هنا إلى الديرة حوالي ٢٠ كيلومترا، وهي مدينة استراحة المسافرين إلى العراق وحفر الباطن، وهي واحة فيها أهم

مشاهداتي الحزينة كانت: هدم السور والمتحف القديم والشباب الحرامية

النقرة.. يسمونها

وقال: سكننا منطقة النقرة

(النقرة) كما يسميها أهل

الديرة، وعرفت عنها أنها

منخفضة تتجمع فيها مياه

الإمطار، وفي النقرة عدة نقرات (أي: أحياء) منها نقرة الطوارئ

ونقرة العثمان والحداد، والطخيم وجاءت هذه الأسماء من الاسر التي

سكنت هذه المناطق، وأما نحن من سكان نقرة العثمان فيها شارع

واحد فقط في بداية سكننا يسمى بالغافقي، ولكنه مشهور بشوارع

العثمان نسبة إلى المرحوم عبدالله عبداللطيف العثمان، من أكبر

المحسنين، وصاحب ديوان كبير لا يدخل من المحتاجين والمتسولين،

وحتى من خارج البلاد كانوا يأتون إليه، بني مسجدا في هذا الشارع

واتذكر تاريخ وفاته عام ١٩٦٥، منزلنا كان في عمارة السعوسعي

وصاحبها كان يسكن فيها، والنقرة لم يكن فيها إلا مطعم واحد وهو

مطعم أوتوماتيك وفي شارع العثمان بقالة شهيرة المشهورة قديما،

وصاحبها تطور حتى أصبح صاحب شركة للمواد الغذائية اسمه

الياس سعد باع الشركة وغادر الكويت، وفيه تجارون البرانيون وكل

مستلزمات العائلة لم تكن تذهب إلى الديرة، وأنا لم أكن أعب مع

أولاد الجيران لأن من صغري وأنا في العمل مع والدي قبل قدومنا

الكويت عندما كان عمري ١٠ سنوات.

خسارة قرن

وتحدث عن اسباب قدومهم إلى الكويت قال: والدي صاحب قرن كبير (مخزن) في طرابلس خسر بسبب النهب والسراقات من العمال، حتى طالبه التجار بمنح الطحين، وداؤوا بضايقونه فقام ببيع القرن، ودخل الكويت للعمل حتى يسد ما عليه من ديون، أذن دخلنا الكويت بسبب خسارة القرن، الذي كان يخزن كل يوم ١٠ أكياس طحين كل كيس كان فيه ٥٠ كغم، كنا نوزع على الأهالي والمطاعم، توجد من الأفران جملة أنواع منها: غلايات البخار، وفي صناعة المعادن، والفلات، واحراق القمامة، ولكن قرن والدي للخبز خسر بسبب الحرامية.

العمل

لقد عمل أبو مصطفي في لبنان وهو صغير لم يتجاوز عمره الـ ١٠ سنوات في فترة الصيف وعطلة المدارس بمحل متخصص في كهرياء السيارات، مضيافا:

من طرابلس البداية تعلمت هذه المهنة حتى الكويت عملت في سيارات فوكسول، القديمة، و«رامبلر»، و«ديسيكو»، و«هولدن»، و«كنسول»، و«مغنا كان في المرقاب فريج من أكبر فرجان الكويت، ومن ثم إلى الشويخ، عملت في مشروع توسعة الميناء الذي افتتح عام ١٩٦٠، وأنا الآن صار لي أكثر من أربعين سنة في الشويخ الصناعية، مهنة تعلمتها بالفطرة لا بالدراسة ولا شهادة، اعتبر نفسي «كادوك»، من ابن ١٠ سنوات وابني «مصطفي»، يعمل معي، وأخذ من خبرتي والزبائن يقولون له «ابن الورد عوام».

أمثال نتذكرها

وتذكر أبو مصطفي بعض الأمثلة لمن يريد أن يعيش والحث على مبادرة العمل، واقتناص الفرص: «اللي بيغي الصلاة ما تقوته»، ومثل عربي: «من جال نال، ومن سعى رعى»، و«من خشى الذئب اعد كلبا»، و«من طلب شيئا وجده»، ونحن في هذا البلد الطيب نجد ونجده وحصلنا على الرزق بفضل الله تعالى وتراب هذه الأرض، وهو جهد في طلب الرزق كما قال المثل العربي: «رزق الله لا كدك»، وقال الشاعر:



الحمالي كانوا في كل مكان



يصلح سيارة ومعه ابنه مصطفى